

الترجمة ودورها في الفكر العربي

١٠١. حامد طاهر(*)

يدور الحديث في الغالب عن الترجمة كتقديم لكثير من الدراسات الأدبية والعلمية ، سواء ما تناول منها العصور القديمة ، أو العصر الحديث ، ويكفى أن نفتح أى رسالة جامعية تتعرض لتاريخ الأدب أو العلوم ، في العصر العباسي أو العصر الحديث ، لنجد فيها عنوانا خاصا بالترجمة ، وبالفائدة الكبرى التي حققتها ، وأبرز أعمالها وأعلامها ، ومن ناحية أخرى ، فقد يجرى الحديث أحيانا عن الترجمة من جانبها الفني الخالص ، أى الذي يبين طريقة ترجمة المصطلحات والعبارات ، وينبه الى ضرورة مراعاة السياق ، وعدم الوقوع في أخطاء الترجمة الحرفية (١) .

بل انه من المؤسف أيضا أن يجرى تناول موضوع الترجمة في إطار البحث عن مشكلات الكتاب العربي وتوزيعه ، على مستوى « الناشرين » كما حدث في مايو ١٩٧٣ ، حين دعت مجلة الكاتب الجزائرية الى ندوة تجمع الناشرين لبحثوا معا « مشكلات توزيع الكتاب العربي » .. ومن بينها : الترجمة !

أما الغائب فعلا فهو الدراسة — أو الدراسات — التي تتناول الترجمة بنظرة مستوعبة تقدم على أساس منهجي بغرض الوصول الى تحقيق عمل كبير ينهض بها ، اننا بحاجة ماسة الى من يبينها الى أهمية الترجمة في حركة العلم والثقافة (٢) ، وهذا يتطلب أن تبين دورها الحيوي في النهضة الحاضرة ، وأن نتتبع في نفس الوقت تاريخها ، ونوضح خطوط

(*) استاذ الفلسفة الاسلامية المساعد بكلية دار العلوم — جامعة القاهرة .

(١) انظر : فن الترجمة للأستاذ صفاء خلوصي — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ .

(٢) نشير هنا الى كتابين : الأول بعنوان « فن الترجمة » للأستاذ محمد عبد الفتى حسن — الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ ، والثانى صغير الحجم نسبيا ولكنه جيد بعنوان « الترجمة ومشكلاتها » للأستاذ ابراهيم زكى خورشيد — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ .

تطورها ، ونضع لها الأسس والمعايير ، الكفيلة بتصحيح مسارها ، وتحقيق أهدافها ، باعتبارها أحد الروافد الرئيسية في نهضة الفكر القومى ، ودفع حركة البحث العلمى والثقافة الى الأمام .

ونحن عندما نتحدث عن الترجمة ، لا ينبغي أن ننظر إليها على أنها « غاية في حد ذاتها » ، وإنما هي « مجرد وسيلة » لدفع وتطوير وتطعيم « حركة التأليف » ، وإذا ما علمنا أن العالم العربى كله يقدم « ١ ٪ » من الانتاج العالمى في مجال التأليف — وأن « ٧٥ ٪ » من هذه النسبة الضئيلة مخصص للكتب المدرسية والجامعية (٢) — أدركنا على الفور أن حركة التأليف في العالم العربى ضعيفة ، بل انها متخلفة الى حد كبير .

لذلك يجب تدارك النقص فيها ، والعمل على تنشيطها بمختلف الوسائل ، وفى اعتقادنا أن أهم هذه الوسائل هي الترجمة .

الموضوع اذن حيوى ، وهو يفرض نفسه كضرورة ملحة على حياتنا الثقافية المعاصرة ، كما فرض نفسه من قبل على أجدادنا في العصر العباسى . والمنهج الذى نفضل عرض هذا البحث على أساسه ، يتمثل في الخطوات التالية :

- ١ — بيان أهمية الترجمة بصفة عامة ، وخطورتها في بعض المراحل .
- ٢ — عرض تاريخى يربط بين فترات الازدهار الثقافى في فكرنا العربى ، وحركة الترجمة قديما وحديثا .
- ٣ — أهم مظاهر القصور في الترجمة الى العربية في العصر الحديث .
- ٤ — اقتراح يتضمن عددا من الأسس والمبادئ التى يمكن أن تعتمد عليها حركة الترجمة ، وتصبح من التقاليد الثابتة لها :

أولا : أهمية الترجمة وخطورتها :

ثبتت التجربة الانسانية أنه لا حدود للدور الذى تقوم به الترجمة في تبادل أفكار الشعوب ، والتعبير عن الرغبات والمصالح ، وتوضيح وجهات النظر ، والتمهيد للاتفاقيات والمعاهدات ، وبالإضافة الى ذلك كله ، فهي — من الناحية الثقافية — المرآة التى يمكن للروح القومية أن ترى فيها نفسها بجوار الآخرين ، وبذلك فانها تفتح بابا واسعا للمقارنة ، والمنافسة ، وطلب التقدم الفريزى في طبيعة البشر .

(٣) انظر : القسم الخاص بالترجمة ، المنشور بدعوة مجلة الكاتب الجزائرية ، مايو ١٩٧٣ .

وهى عبارة عن رحلة مفيدة جدا وممتعة معا ، يقوم بها العقل القومى لمشاهدة كل ما هو مختلف عنه ، ومن هذه الزاوية ، فان الترجمة تساعد على سعة الأفق ، وتوسيع اطار المعرفة .

وأخيرا فان الترجمة ستظل أهم الوسائل لفهم ما لدى الشعوب الأخرى من علم وثقافة ، ما دمت لا نستطيع جميعا أن نتعلم كل اللغات ، وما دامت اللغة — وستظل — هى الأداة الرئيسية لفهم الآخرين ، والتفاعل معهم عن طريق التأثير والتأثر « يرى المستشرق ماسينيون أنه لا يوجد تأثير وتأثر حقيقى بين أمتين الا عن طريق اللغة — ومع امكانية مناقشة هذا الرأى الا أنه يبرز الأهمية الكبرى للغة فى عمليتى التأثير والتأثر » .

ثم اذا جاز لنا أن نستخدم « المجاز » فى تحديد الدور الذى تلعبه الترجمة فى دورات الفكر المختلفة ، لقلنا انه عبارة عن واحد من ثلاثة :

— فعندما يزدهر الفكر القومى لأمة ما ، تصبح الترجمة اليه نوعا من « التطعيم » الذى يحسن النسل ، ويساعد على انتاج أصناف أقوى وأفضل ، كما هو مشاهد حاليا فى لغات الأمم المتقدمة .

— وعندما يتعثر هذا الفكر ، تصبح الترجمة نوعا من « التسميد » الذى يجدد شباب التربة ، ويمتزج بها مدعما عناصرها الضعيفة .

— أما عندما ينحدر هذا الفكر ، فان الترجمة اليه تغدو عندئذ عبارة عن عملية « نقل دم » تعيد ملء الأوعية والأوردة بدم آخر قوى ، حتى يدق القلب من جديد .

ومن العجيب أن هذه « المجازات » الثلاثة يمكن أن تطبق ، وتنطبق ، على فكرنا العربى فى مختلف مراحل التاريخ ، والتي سنستعرضها بعد قليل .

لكن فى المقابل من ذلك ، اذا كان للترجمة هذا الدور الحيوى فى حركة الفكر ، فلا ينبغى أن نغفل عن أنها قد تكون ذات أثر سىء أو خطير ، ويمثل ذلك فى ترجمة ما يمس أخلاق الأمة ، وشعورها القومى والدينى ، وخاصة فى أوقات الأزمات التى تمر بها .

كما أنه قد لا يكون للترجمة أحيانا أى أثر مفيد على الإطلاق ، ويمكن الوقوف على ذلك من ترجمة بعض المؤلفات العلمية التى مضى على محتواها العلمى زمن طويل ، وتخطاها العلم المتجدد بمراحل كثيرة ، ومن ذلك أيضا ، وفى كثير من الأحيان ، ترجمة روايات التسلية المنتشرة فى أوروبا ، والتى

لا تتلاءم مع ذوق الشعب العربى ، ومزاجه ، وخاصة فى تلك المرحلة الحرجة من نهضته الحالية .

ومن الطبيعى أن يظل مقياس الحكم بالفائدة وعدمها نسبيا ، إذ يمكن دائما أن يستحسن البعض ما لا يستسيغه الآخرون ، ولكننا نعتقد أنه مع تزايد الاحساس بالمسئولية الثقافية ، وبالمسئولية القومية أيضا ، سوف تقترب بالتدريج الآراء المتباعدة ، ووجهات النظر المختلفة ، وربما التقت على أرض مشتركة .

ثانيا : العرض التاريخى :

فى **العصر الجاهلى** ، كان العرب فى غالبيتهم بدوا : رعاة وتجارا بسيطاء ، والمسيحيون الذين عاشوا بينهم أميين ، واليهود طوائف منفصلة على نفسها ، وضئينة بما لديها من علم التوراة ، لذلك لا نتوقع أن نجد فى العصر الجاهلى حركة ترجمة بالمعنى المعروف ، وكل ما يمكن تصوره ، ولا ينبغي استبعاده ، هو وجود بعض الأفراد الذين كانوا يسهلون مهمة الاتصال « التجارى فى الغالب » بين القوافل العربية التى كان لها اتصال موسمى مع التجار الأجانب فى الشام والعراق واليمن (٤) ، كذلك كان الأمر يتطلب وجود نوع من الترجمة فى بلاط كل من الفساسنة « العرب التابعين لدولة الروم » والمناذرة « العرب التابعين لدولة الفرس » على الحدود الشمالية لشبه الجزيرة العربية (٥) .

وفى بداية ظهور الاسلام ، اثناء العهد المكي ، حدثت هجرة اسلامية الى الحبشة ، ويحدثنا التاريخ عن توافر شروط الترجمة الشفوية فى ذلك اللقاء الشهير الذى جرى بين النجاشى ، والمهاجرين المسلمين ، والوفد القرشى الذى ذهب لاستردادهم (٦) .

(٤) أشار القرآن الكريم الى ذلك فى قوله تعالى « لا يلاف قريش ايلافهم ، رحلة الشتاء والصيف » سورة قريش الآية ٢٤١ . وقد ذكر المفسرون أن رحلة الشتاء الى اليمن ، ورحلة الصيف الى الشام .

(٥) انظر : أحمد أمين ، فجر الاسلام ح ١٦ ومابعدھا .

(٦) انظر حياة الصحابة للكازدهلوى ج ٣ ص ١٩٥ تحت عنوان « تعلم الرجل لسان الأعداء وغيره للضرورة الدينية » .

وبعد قيام الدولة الاسلامية في المدينة ، يروى ان الرسول — صلى الله عليه وسلم — حث زيد بن ثابت على تعلم اللسان العبرى لكي يقوم بدور الترجمة بينه وبين زعماء اليهود في المدينة (٧) .

ومع ذلك ، فان كل هذه المظاهر البسيطة للترجمة لا تكون في مجموعها ظاهرة عامة بحيث يمكن ان يكون لها تأثير واضح في حياة المجتمع ، وخاصة في الجوانب العلمية والثقافية ، وهذا يؤدي بنا الى القول بأن الترجمة ثمرة حضارة لنشاط مجتمع معقد التركيب ، وانها لا تنضج بصورة كافية لدى الشعوب ذات الحياة العفوية البسيطة .

ومما لا شك فيه ، ان العرب قد تحولوا بالاسلام تحولا جذريا ، وكان عليهم ان يخرجوا به من حدود شبه الجزيرة العربية ، لنشره في الشام والعراق والهند ، وفي مصر وشمال افريقية ، وهى مناطق كانت لها حضارات مختلفة ، ولها لغاتها الخاصة .

وهكذا مر العصر الأموى « ٤٠ — ١٣٢ هـ » — عصر المد الاسلامى السريع المدهش — دون ان نجد حركة ثقافية واسعة ، تشمل الترجمة ، وكل ما لادينا في هذا العصر لا يخرج عن مثاليين :

(ا) خالد بن يزيد ، والى الأمويون على مصر ، الذى يقال انه كان ذا شغف بالكيمياء ، ويقال ايضا انه ترجم فيها ، أو شجع بعض الأقباط على ترجمة بعض رسائلها (٨) .

(ب) عمر بن عبد العزيز « ت ١٠١ هـ » الذى شجع على ترجمة بعض الرسائل فى الطب ، وهذا غير مستبعد ، نتيجة ضرورته فى الحياة العملية (٩) .

(٧) يشكك الأستاذ أحمد أمين فى معرفة زيد بن ثابت العبرية « فجر الاسلام ص ١٧٥ » اعتمادا على قصر المادة التى تعلمها فيها ، ولكن صغر سنه من ناحية ، وكونه من أهل المدينة المعاشرين لليهود من ناحية أخرى يساعدان على ذلك .

(٨) يروى الجاحظ فى البيان والتبيين أن خالد بن يزيد « كان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء » ولكن ابن النديم فى الفهرست « ص ٣٤٠ » يقول عن اصطفن الحكيم انه « نقل لخالد بن يزيد بن معاوية كتب الصنعة وغيرها » .

(٩) انظر اخبار الحكماء للقنطرى (ص ١٢٣) حيث جاء فى ترجمة ماسرجوه الطبيب البصرى اليهودى انه « كان عالما بالطب ، وتولى لعمر بن عبد العزيز ترجمة كتاب أهرن القس فى الطب ، وهو كناس فاضل من افضل الكنائيس القديمة » .

لكن بمجيء العصر العباسي « ١٣٢هـ » أصبح في حوزة المسلمين
البراطورية شاسعة ، ثابتة الدعائم تقريبا من الناحية العسكرية ، والسياسية
الخارجية ، لذلك فقد أتيح للمسلمين في العصر العباسي فرصة بناء حضارة
مزدهرة ، وخاصة في النواحي العمرانية ، والعلمية ، والثقافية ، فالمنصور
يبنى بغداد التي ورثت كلا من القسطنطينية والاسكندرية ، وكانت أكبر
مراكز الثقافة في العالم القديم ، والمأمون يبنى « بيت الحكمة » ، وكان عبارة
عن مؤسسة ثقافية ضخمة :

— خصص فيها مكان لسكنى المترجمين « ومن الجدير بالذكر أن هذا
العمل لم يحدث في أى حركة ترجمة حتى الآن ! » .

— جلب اليها كل ما أمكن العثور عليه من مخطوطات في شتى الثقافات
التي وجدها العرب ، وبمختلف اللغات : عبري ، فارسي ، هندي ، سرياني ،
يوناني « ويلاحظ أن هذا يحدث حاليا في كل من الولايات المتحدة الأمريكية ،
والاتحاد السوفيتي ، وكذلك اليابان » .

— كانت تجرى فيها عمليات الترجمة ، والمقابلة ، والتصحيح .

— كانت تحت اشراف الخليفة نفسه .

ومع ذلك ، فقد كان لتشجيع أثرياء ذلك العصر أثره البالغ في دفع
الحركة الثقافية بصفة عامة ، وحركة الترجمة على نحو خاص ، ولا ننسى
في هذا المجال الأثر الطيب الذي تركه البرامكة ، وأسرة ابن شاذان (١٠) .

ويلاحظ أن الترجمة أصبحت في هذا العصر مهنة أو حرفة يرتفع بها
أصحابها الى أعلى المناصب ، نتيجة اتصالهم بالخليفة نفسه ، كما كانوا
يتلقون على عملهم فيها أجزل الرواتب والمنح ، حتى أننا لا نكاد نصدق
ما يروى من أن مكافأة الترجمة كانت أحيانا تقدر بالذهب (١١) !

وهنا لابد من تسجيل عدة ملاحظات :

الأولى : أن معظم المترجمين في البداية كانوا مسيحيين أو يهود « حين
ابن اسحاق ، وثابت بن مرة » ثم بعد ذلك بدأ المسلمون يسهمون في الترجمة
« الكندي » (١٢) .

(١٠) القنطى : أخبار الحكماء ص ٢٨٦ ومابعدها .

(١١) انظر : ابراهيم زكى خورشيد ، الترجمة ومشكلاتها ص ٦٤٤ .

(١٢) انظر : الفهرست لابن النديم — المقالة السابعة ، وأخبار الحكماء

للقنطى ص ٢٤٨ « ترجمة يوحنا البطريق » .

الثانية : طواعية اللغة العربية في استيعاب ما نقل إليها ، وقدرة أهلها — حينئذ — على صك وتطوير المصطلحات العلمية والفلسفية الجديدة .

الثالثة : كان أهم مترجم في العلوم : الحساب ، والطب ، والفلك ، والهندسة ، والنبات بالإضافة الى الفلسفة ، وأهم ما أعجب العرب من هذه الأخيرة هو القسم الخاص بالمنطق (١٣) .

الرابعة : أن الترجمة عن اليونانية لم تكن تتم في البداية الى اللغة العربية مباشرة ، وإنما كانت تتم الى السريانية ، ثم الى العربية ، وكثيرا ما وجد العرب المؤلفات اليونانية ذاتها مترجمة للسريانية ، ومن ناحية أخرى فإن ما ترجم عن الفارسية والهندية كان أقل من ذلك .

والسؤال الآن : لماذا كانت الترجمة عن اليونانية « أو السريانية » أكثر من الفارسية ؟

ويمكن الاجابة بأن الفرس أنفسهم كانوا قد اعتنقوا الاسلام ، وتعلموا اللغة العربية ، بل أجادوها الى الحد الذي فاقوا به العرب أنفسهم في مجال التأليف بها « سيوييه في النحو ، وابن قتيبة في الأدب ، وعبد القاهر الجرجاني في البلاغة » ، كما يلاحظ أن كثيرا من مفكرهم كانوا يكتبون باللغتين العربية والفارسية « ابن سينا ، والغزالي فيما بعد » ، وبالإضافة الى ذلك ، كانت قد تمت بالفعل ترجمة كثير من عناصر الفكر اليوناني الى اللغة الفارسية ، ودخل في تكوين الفرس أنفسهم ، وربما كان هذا أحد الأسباب التي ما زالت حتى اليوم تدهش العرب ، وهي غلبة العنصر الفارسي للمؤلفين على العنصر العربي في ميدان الحضارة الاسلامية .

وسؤال آخر : لماذا لم تحدث حركة ترجمة الى العربية في الأندلس « أسبانيا المتاخمة لأوربا » والتي بدأ المسلمون في السيطرة عليها مع بداية الدولة العباسية ؟

ويمكن الاجابة بأن معظم التراث الأجنبي كان قد تم نقله الى العربية بالفعل في العصر العباسي الأول . . وما أن استقرت الحضارة الاسلامية في الأندلس حتى تلقت هذا التراث — معربا جاهزا — من بغداد ، ونحن نقرأ كثيرا عن الرحلات الشهيرة التي كان يقوم بها علماء الأندلس الى كعبة العلم

المشرفة « بغداد » ، ثم ما تبع ذلك من « حركة محاكاة » أندلسية لكل ما هو « مشرقى » [أى بغدادى أو شامى] فى المجالات الأدبية والاجتماعية على السواء .

وإذا كانت حركة الترجمة فى العصر العباسى قد تمت بكفاءة واضحة فى أغلب الأحيان ، فإنها ، كأي عمل انساني ، لم تسلم من بعض مظاهر القصور ، فعلى الرغم مما امتازت به فى مجال التحقيق ، وال ضبط ، والتثبيت من النص ، والحفاظ ما أمكن على معناه ، وإيجاد المصطلحات المناسبة له — كان يحدث أحيانا أخطاء ، كما وقع مثلاً فى نسبة كتاب علم الفلسفة الأفلاطونية المحدثة « وهى نزعة روحية شرقية متأثرة بالفلسفة اليونانية » الى أرسطو « وهو صاحب فلسفة عقلية ، طبيعية كما نعلم » ، وقد تسبب هذا الخطأ فى توجيه جانب من الفلسفة الإسلامية ، لزمان طويل ، وجهة خاصة ، وأنتج لها مشكلات تتعلق بالتوفيق بين ما جاء فى الكتاب المشار اليه ، وبين ما هو موجود بالفعل لدى أرسطو فى سائر مؤلفاته الحقيقية (١٤) . . . حتى جاء ابن رشد « ت ٥٥٦ هـ » فأصلح هذا الخطأ ، عندما قام بشرح وتلخيص مؤلفات أرسطو على أساس علمى موثق (١٥) .

أما المظهر الثانى للقصور ، فقد حدث فى مجال الأدب ، وذلك عندما أغلقت أو استبعدت ترجمة المسرحيات والملاحم الاغريقية ، والتي كان من الممكن أن تؤدى الى تطعيم الأدب العربى — الذى ظل حتى بداية القرن العشرين محافظاً على شكله التقليديين من الشعر والنثر — ومن المعروف أننا أخذنا المسرح من أوربا ، التى أخذته بدورها من الاغريق ، فمأذا كنا نتخيل لو أننا ترجمنا المسرح الاغريقى فى ذلك العصر ، وقدم لأدبائنا فزودهم بوسيلة تعبير أخرى ، غنية ومركبة ، يحاولون فيها ، فيخطئون وينجحون ، على مدى عشرة قرون !

لقد قيل عن السبب فى عدم ترجمة المسرحيات الاغريقية انها كانت تمتلئ بالإشارة الى تعدد الآلهة ، وتصارعها فيما بينها ، ونزولها للمشاركة فى الصراعات الانسانية ، وهذا يتعارض تماماً مع أصول الدين الإسلامى الذى نادى بالتوحيد والتنزيه ، وقد يكون ذلك صحيحاً الى حد كبير ، لكننا

(١٤) انظر : د. عبد الرحمن بدوى ، التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ، وكذلك : الأفلاطونية المحدثة عند العرب .

(١٥) انظر : هنرى كوربان ، تاريخ الفلسفة فى الإسلام « الترجمة العربية » ص ٣٥٨ وما بعدها ، دار غويديات ، بيروت ١٩٦٦ ، والمنهج النقدي فى فلسفة ابن رشد للدكتور عاطف العراقى — دار المعارف ١٩٨٠ .

من جانب آخر ، نرى أن المسلمين قد ترجبوا الفلسفة الاغريقية ، وأعجبوا كثيرا بأرسطو ، الذى تخلو فلسفته من فكرة الألوهية ، لذلك فأننا نميل الى أن الاحجام عن ترجمة الأدب المسرحى الاغريقى كان نوعا من مراعاة الشعور الدينى للمسلمين ، وخاصة من جانب اليهود والمسيحيين الذين كان يتكون منهم معظم المترجمين .

على أننا لا نستبعد أيضا جانباً من القصور فى فهم الشعر المسرحى ، ساعد عليه غياب « عملية الإخراج » التى تعين على فهم هذا الشعر ، وفى تصورنا أن المترجم العربى وجد نفسه أمام نص ، بارد أو معقد ، ملئ بالحوار ، ومطعم بالاناشيد الجماعية « أغانى الجوقة » .. لكنه بعيد عن خشبة المسرح التى تعطى لهذا الحوار حرارته وحيويته ، فما كان منه إلا أنه استبعد مثل هذا النص ، وذلك بالإضافة طبعاً الى أنه كان يتطلب مشاركة النساء فى التمثيل على نحو علنى أمام أجمهور ، وهو الأمر الذى لم يكن مقبولا فى المجتمع الاسلامى .

وعلى الرغم من مظاهر القصور تلك التى اشرنا إليها ، فإن حركة الترجمة الى العربية فى العصر العباسى الأول ، قامت بدور هام فى دفع الحركة العلمية والثقافية خطوات الى الأمام ، ولا يكاد يوجد باحث واحد ينكر أهمية هذا الدور ، وتأثيره الضخم فى حركة التألف التى أعقبت أو واكبت حركة الترجمة ، ويكتفى مثالا على ذلك أن نتبع تأثير منطق أرسطو ، بعد أن تمت ترجمته الى اللغة العربية ، فى معظم المؤلفات التى دونها المسلمون ، سواء فى مجال العلوم اللغوية والدينية ، أو فى العلوم الحكيمة والتجريبية .

والنقطة التى نود أن نؤكد عليها فى هذا المقام ، أن المسلمين بعد أن تم لهم فتح بلاد الحضارات القديمة « وخاصة بلاد فارس والروم » أسرعوا باقتباس ما لديها من عناصر ثقافية وحضارية وجدوها مناسبة لهم ، وتمكنوا من مزجها بسرعة فى حضارتهم الصاعدة ، بعد أن يثروا مشكلات زائفة حول مشروعية هذا الاقتباس من عدمه ، وكانت الترجمة هى وسيلتهم الأساسية فى هذا الاقتباس ، ويلفت النظر انها كانت تجرى بموافقة أعلى سلطة فى الدولة ، وبتشجيع الأمراء ، وكبار الأثرياء .. وإذا كان قد ظهر للترجمة معارضون فى ذلك الوقت ، فإن هؤلاء المعارضين لم يطالبوا بإيقاف حركة الترجمة ، وإنما كان مطلبهم الأساسى—وهم حماة التراث العربى الاسلامى—

ألا يطفئ الوافد على الأصيل ، وأن يوضع كل منهما في مكانه الصحيح (١٦) .

لقد ظلت الحركة الفكرية في أوربا خامدة ، طيلة العصور الوسطى ، حتى استيقظت أخيرا على النهضة الإسلامية التي ازدهرت في الأندلس ، وهنا أسرع دول أوربا بـ :

١ — إرسال أبنائها الى التعلم في الجامعات الإسلامية في قرطبة وغرناطة واشبيلية .

٢ — انشاء الجامعات المماثلة في إيطاليا وإنجلترا وفرنسا .

٣ — القيام بحركة ترجمة واسعة ، من العربية أولا .. ثم بعد ذلك من اليونانية .

فكيف كانوا يترجمون من اللغة العربية ؟ — كانت عملية الترجمة تجرى بحضور :

(أ) شخص إسباني « يهودى في الغالب » يعرف العربية ، ويتكلم لهجة إسبانية محلية .

(ب) شخص أوربي على معرفة بتلك اللهجة المحلية .

(ج) شخص ثالث يجيد اللاتينية .

وتتم الترجمة بأن ينطق الشخص الأول الكلمة العربية ثم يقوم بتحويلها شفويا الى اللهجة الأسبانية ، وهنا يتلقاها الشخص الثاني ليحولها الى اللاتينية الدارجة ، وأخيرا يقوم الثالث بتسجيلها ، بعد أن يحولها هو الآخر — حسب القواعد اللغوية — الى اللاتينية المكتوبة .. (١٧) .

ويمكننا أن نقف على مظاهر القصور في هذه الطريقة فيما يلي :

١ — الحرفية في ترجمة النص جملة جملة ، أو كلمة كلمة ، وما يؤدي اليه من فقدان الترابط العام بين أجزاء النص .

(١٦) انظر : مناظرة السيرافي ومتى بن يونس في الامتاع والمؤانسة

(١١) / ١٢٣ ، بتحقيق أحمد أمين وأحمد الزين .

(17) Gilsn, La philosophie ou moyen âge, tome 2 p. 344, payot, paris 1946 .

٢ — الشفوية ، بمعنى أن العبارة تتحول مرتين على لسان شخصين مختلفين ، ومع تلافي المخاطر التي قد تذهب تماما بالمعنى ، فإنها تفقده الكثير من الظلال المحيطة به .

٣ — عدم المباشرة .. فالمرجم الفعلى هنا ، وهو الشخص الثالث ، لا يعرف العربية .

ومن هنا جاءت معظم الأسماء العربية مشوهة في اللغات الأوربية ، لما فهم فيلسوف عربى كابن رشد على نحو خاص جدا ، ومع ذلك ، فقد أدى هذا الفهم إلى اشغال الشرارة في العقل الأوربي ، الذى بدأ يثور على سلطة الكنيسة القائمة حينئذ ، ويعود إلى الفكر اليونانى القديم ، بعد أن شاهد روعته . عن طريق اللغة العربية ، لكى ينقله مرة أخرى ، بكثير من الدقة ، إلى اللغة اللاتينية ، ومنها انتشر إلى سائر اللغات الأوربية المعروفة حاليا .

ان مشروع استفادة أوربا من العالم العربى والاسلامى فى مجال الترجمة لم يظهر تماما فى كل أبعاده ، ونحن نعتقد أنه على الباحثين الغربيين تقع فى المقام الأول مسؤولية بيان دوافع هذا المشروع ، وآثاره المباشرة على الحضارة الأوربية الحديثة ، ويوم يفعلون ذلك ، فإنهم يكونون قد أسهموا — علميا وإنسانيا — فى إزالة جانب كبير من سوء التفاهم القائم حتى الآن بين الشرق والغرب ، أو بصورة أدق ، بين أوربا والعالم الاسلامى .

وقد كان تأثير الحضارة الاسلامية عن طريق اسبانيا الاسلامية « الأندلس » أقوى بكثير عن طريق الشرق ، خلال الحروب الصليبية ، التى استمرت قرابة قرنين كاملين .. ونحن نذهب إلى أن زيادة هذا التأثير إنما ترجع فى المقام الأول إلى الترجمة ، فهى الأسلوب الطبيعى لنقل الأفكار ، وبعث النهضة الثقافية ، أما الاتصال الذى تم بين الأوربيين والمسلمين خلال فترة الحملات الصليبية فإنه لم يثمر نفس الثمرة ، لأن أهل أوربا لم يبدلوا من جانبهم أى محاولة جادة للتعرف على ثقافة المسلمين ، وانحصر كل ما عاندوا به — بعد حوالى مائتى عام من الإقامة ببلاد الاسلام — فى بعض العادات الحربية ، وخیالات ألف ليلة وليلة !

وفى الوقت الذى بدأت فيه أوربا تستيقظ على ثمار النهضة الاسلامية فى الأندلس ، كان العالم الاسلامى — وخاصة بعد سقوط بغداد وغزو التتار — يدخل مرحلة طويلة من السكون العلمى والثقافى ، ومن المعروف أن فترة حكم المماليك والعثمانيين قد عزلت العالم الاسلامى عن الشعوب

الأخرى ، وانعدام الاتصال ، فتوقفت الترجمة ، أما التأليف ، أو بعبارة أدق :
التصنيف ، فقد تراوح بين اختصار المؤلفات القديمة ، أو شرحها في مطولات ،
أو نظمها شعرا تعليميا لا حياة فيه (١٨) .

وفي العصر الحديث ، كانت حملة بونابرت على مصر والشام « ١٧٩٨ -
١٨٠١م » آثار بعيدة المدى ، ليس على هذين البلدين وحدهما ، وإنما
على أجزاء العالم العربى والإسلامى كله . . فقد كانت هذه الحملة طليعة
الاستعمار الحديث ، والصدمة التى أوقفت المسلمين على ما آل اليه حالهم ،
ومن حسن الحظ أن تلك الصدمة لم تفقد المسلمين وعيهم ، بل على العكس
أعادت اليهم هذا الوعى بصورة جادة ، فأسرعوا بمقاومة المستعمر الأجنبى ،
فى نفس الوقت الذى أدركوا فيه أنه لا بد عليهم أن يستفيدوا من خبرته
لتعويض تخلفهم الطويل . . وكان أهم ماحدث فى المجال الثقافى أمرين سارا
معا ، وربما بنسب متفاوتة :

الأول : تمثل فى العودة الى التراث القديم باعادة طبعه ، وتحقيقه ،
ونشره ، وساعد على ذلك وجود المطبعة التى تركها نابليون فى مصر .
الثانى : القيام بحركة ترجمة قوية ، قادها فى مصر رفاة الطهطاوى ،
وبالإضافة الى نخبة من كبار المثقفين فى لبنان .

وهنا لا بد أن نعترف بأن التحدى ، بالنسبة الى العرب بالذات ، كان
صعبا : فعندما قام العرب بحركة الترجمة الأولى فى العصر العباسى كانوا
هم الفاتحين ، والحكام ، وذوى السلطان فى البلاد ، أما فى حركة الترجمة
الثانية ، فى العصر الحديث ، فقد كانوا هم الخاضعين والتابعين والمحكومين ،
وما يمكن أن يستتبع ذلك كله من ضغط ندى ومادى يقيد حركتهم ، ويعوقهم
أحيانا عن حرية الاختيار ، بل ويفرض عليهم فى أحيان أخرى بعض الاتجاهات
المعيّنة .

وإذا كانت الترجمة قد بدأت فى مصر ولبنان ، فإن اتجاه كل منهما فى هذا
الميدان كان مختلفا ، أما فى مصر ، فكانت الترجمة نتيجة للبعثات العلمية
التي أرسلها محمد على الى أوروبا ، وخاصة فرنسا ، وكان الغرض الأساسى
منها عسكريا ، وأما فى لبنان ، فنتيجة انشاء الجامعة الأمريكية ومدرسة

(١٨) حول الأشكال المتنوعة للتأليف عند العرب ، انظر رسالة
الدكتوراه التى قدمها الباحث الجاد د. كمال عرفات الى جامعة القاهرة
« أغسطس ١٩٨٧ » بعنوان : الاتصال القرائى وعلاقته بالانتاج الفكرى .

القديس جوزيف بيروت ، وتعدد الارسلالات المسيحية للتبشير ، وكان الدافع وراءها دينيا وسياسيا .

والملاحظ أن الترجمة في لبنان قد غلب عليها الطابع الأدبي والفلسفي ، في حين غلب الطابع العلمى على بداية حركة الترجمة في مصر ، وإذا تساءلنا عن السبب في ذلك ، وجدنا أن الترجمة في مصر كانت موجهة من الدولة ، أو من محمد على مباشرة ، ومن هنا كانت خاضعة للاحتياجات العملية ، بينما تركت الترجمة في لبنان لهوى الأفراد ، وكانوا متباينين في ميولهم وثقافتاتهم . . ومع ذلك ، فقد عادت مصر تأخذ باتجاه لبنان فغلب عدد المؤلفات المترجمة في الأدب على المؤلفات العلمية « تشير احصائية أجريت سنة ١٩٧٣ أن ما ترجم في الآداب ١٨٦٠ كتابا ، بينما بلغ في العلوم ٤٧٣ كتابا فقط » (١٩) .

وهنا يمكن أن نضع أيدينا على واحد من أهم مظاهر القصور في الترجمة في العصر الحديث ، وهو التركيز على جانب الدراسات الانسانية أكثر من جانب العلوم التجريبية والبحثية ، مع أن الجانبين ، كما هو معروف ، لا ينفصلان ، ولا يمكن لأى حضارة أن تزدهر دون الاعتماد عليهما معا .

وفي هذا الصدد لابد من التعرض لدعوى تثار من وقت لآخر ، دون أن يحسم فيها برأى ، يتم الاتفاق عليه ، على الرغم من أهميتها الحيوية في مجال نهضتنا الحالية : يرى أصحاب الدراسات التجريبية والرياضية أن الترجمة الى العربية في مجال تخصصاتهم غير مجدية ، لأن الطبيب ، بعد أن يتعلم الانجليزية مثلا يمكنه الرجوع بسهولة الى المراجع المكتوبة في تلك اللغة ، دون الحاجة الى استخدام اللغة العربية ، وكذلك الحال بالنسبة الى المهندسين وعالم الطبيعة ، والكيميائي ، وعالم الرياضيات ، الخ ، وهذه نظرة صحيحة ، لكنها تدور في فلك ضيق ، إذ أنها رغم فائدتها العملية القصيرة المدى تنكر على الموهبة العربية أن تؤتى ثمارها على المدى الطويل ، بل وتبقى على تبعيتها المستمرة للغات الأجنبية الأخرى ، وهذا ما يتنافى مع طبيعة شعب استطاع في الماضي أن يستوعب « علوم الاوائل » وأن يقيم منها بناء خاصا به ، يحمل طابعه ، ويتمشى مع واقعه .

ولا يمكن لمعترض أن يقول ان هذا رد متعصب ، في عصر يتميز بالعالمية وتحطيم الحواجز بين الدول ، وخاصة في مجال العلم والثقافة ، لأن الدعوة

(١٩) احصائية منشورة بنهضة الترجمة التي عقدتها مجلة الكاتب الجزائرية ، مايو ١٩٧٣ .

القوية الى الترجمة — التى يتبناها هذا البحث — هى فى حد ذاتها ضد التعصب ، وهى الى جانب فتح باب الأخذ والعطاء ، باعتباره الباب الطبيعى الى التقدم ، والمطلوب اذن هو قدر من الجهد المخلص ، المنظم ، الذى يسعى الى استيعاب التقدم الحالى لدى الشعوب الأخرى ، والتعبير عنه باللغة العربية ، ومع أن هذا ليس بالأمر السهل ، فإن التجارب التى تمت حتى الآن تؤكد أنه ليس من قبيل المستحيل « يقوم السوريون حالياً بتدريس الطب باللغة العربية ، وهو عمل يستحق التقدير والمحاكاة من باقى كليات الطب فى العالم العربى ، كما استطاعت الصحافة العربية أن تستوعب بلغتها البسيطة ، والمركزة أحيانا ، كل الأحداث العالمية » .

وفى لقاءات متعددة مع بعض الاخوة من الشمال الافريقى وخاصة من تونس والجزائر ، سمعت بنفسى الرغبة فى عدم ترجمة الثقافة الفرنسية الى اللغة العربية ، وقال لى بعضهم : ما الحاجة بنا الى ترجمة فيكتور هوجو مثلا ، وأنا أستطيع أن أقرأه بالفرنسية ، بل وأفهمه أفضل من فهمى لترجمة عربية له !

والواقع أن المشكلة لا تنحصر فى فائدة عملية ، مؤقتة وشخصية ، أى مقصورة على فرد واحد ، أو حتى على جيل بأكمله ، وإنما المشكلة خاصة بأجيال كثيرة قادمة ، وبمستقبل الأمة العربية كلها ، وباحياء حضارتها، الاسلامية التى أثبتت ذات يوم أنها قادرة على الأخذ والعطاء ، ومن ثم على التقدم والازدهار .

ثالثا : أهم مظاهر القصور فى الترجمة الحديثة :

لاشك فى أن الترجمة الى اللغة العربية فى العصر الحديث « والتى بدأها رفاعة الطهطاوى وتلاميذه الذين ترجموا حوالى ألفى كتاب » قد قامت بدور هام فى اطلاع العالم العربى والاسلامى على منجزات العلم الأوربية ، وتعريفه بكبار أدبائه ومفكره ، ومن الملاحظ أن حركة الترجمة بدأت قوية ومنظمة ، « وخاصة فى عهد محمد على » ولكنها مالبثت أن ضعفت وتشتتت نتيجة إهمال الدولة لها ، وتركها فى معظم الأحيان لهوى الأفراد ممن يحسنون ، ومن لا يحسنون . . وسرعان ما تعرضت لعدد من أوجه القصور ومظاهره التى نجلها فى النقاط التالية :

١ — عدم ذكر عنوان الكتاب المترجم بلغته الأجنبية ، وكذلك اسم مؤلفه .

٢ — تغيير عنوان الكتاب في اللغة العربية رغبة في جذب الانتباه ، أو جريا وراء الصدى الصحفى .

٣ — عدم ذكر سنة تأليف الكتاب ، ومكان طبعه ، وعلى أى الطبوعات اعتمد المترجم .

٤ — عدم ذكر اللغة المنقول منها الكتاب ، والاكتفاء أحيانا بعبارة « نقله الى العربية أو تعريب فلان .. » .

٥ — عدم التقديم بمقدمة توضيحية ، تلخص مضمون الكتاب ، وتشير الى الصعوبات ، وتبين قيمة الكتاب فى مجاله .

٦ — عدم التعريف بالاماكن ، والأعلام ، والأحداث التى تحتاج الى تعريف .

٧ — عدم الاشارة فى الهوامش لما قد يقابله المترجم من غموض أو صعوبة فى كلمة أو جملة لا يوجد لها مقابل مناسب فى اللغة العربية .

٨ — عدم وضع أسماء الأعلام والاماكن بلغاتها الأجنبية بجوار ما « يقترح » المترجم لنطقها باللغة العربية .

٩ — عدم وضع الفهارس التوضيحية فى آخر الكتاب ، وأحيانا ما يهمل المترجم العربى فهارس الكتب الأجنبية ذاتها .

١٠ — عدم ترجمة الطبعة الأخيرة من الكتاب الأجنبى ، مع مانعرفه من سرعة تغير وتطور الأفكار لدى المؤلفين الأجانب فى العصر الحاضر .

١١ — عدم متابعة الترجمات بفهارس دورية فى كل بلد عربى ، وتبادل هذه الفهارس حتى نتجنب ترجمة الكتاب الواحد أكثر من مرة « مع الاعتراف بأن تعدد التراجم فى مجال الأدب أمر مطلوب ، وينبغى تشجيعه ، نظرا لتعدد إحياءات النص لدى المترجمين المخطئين » .

تلك هى — فى رأينا — أهم مظاهر القصور التى صاحبت حركة الترجمة الى العربية فى العصر الحديث ، ونحن نلفت الأنظار إليها لأن الكثير منها ، ان لم يكن كلها ، ما زال مستمرا حتى الآن .

لكن نقدنا لحركة الترجمة لن يكون ايجابيا اذا اقتصر فقط على تلمس مظاهر القصور ، لذلك سوف نقدم اقتراحا ، فى مجال اصلاح تلك الحركة ، يتكون من عدة نقاط يمكن أن تكون موضع مناقشة وتعديل ، ولزيد من

الوضوح ، سوف نضع هذا الاقتراح في هيئة اجابات على الأسئلة الخمسة التالية بالترتيب المنطقي الآتي :

- ١ — من يختار الترجمة ؟
- ٢ — ما الذي نعطيه الأولوية في الترجمة ؟
- ٣ — من الذي يقوم بالترجمة ؟
- ٤ — كيف تتم الترجمة ؟
- ٥ — ماذا بعد الترجمة ؟

* * *

١ — من الذي يختار الترجمة ؟

يفرض هذا السؤال نفسه من واقع ما نراه في الترجمة ، حتى الآن ، حيث انها تعتمد في اغلب الأحيان على هوى الأفراد ، واحتياجاتهم الخاصة ، فقليل جدا من هؤلاء المترجمين هم الذين يدركون حاجة الفكر العربي الحقيقية الى تطعيمه بفكر ما اجنبى .. قليل هم الذين يعرفون مواضع الضعف في ثقافتنا ومواطن القوة في ثقافة الآخرين .

أما المشروعات الجماعية التي تتولاها الدولة ، أو المؤسسات الثقافية فهي غالبا ما تكون جيدة ، لأنها تتبع خطة معينة ، وتحاول تحقيق هدف ، ولابد من التنويه في هذا الصدد بمشروعات مثل « الألف كتاب » في مصر ، وسلسلة المسرحيات العالمية الذي تبنته وزارة الثقافة المصرية لفترة ثم خماد ، وسلسلة الروايات العالمية التي قدمتها دار الهلال ، ولكنها مع الأسف كانت تتم على نحو مختصر ، لا هو بالاعتباس ، ولا هو بالترجمة ، وفي الكويت هناك المشروع المستمر الخاص بترجمة المسرحيات العالمية ، وكذلك المجلة المتخصصة في نشر أحداث المقالات العلمية والأدبية ..

لذلك تمس الحاجة الى ضرورة انشاء مجلس قومي للترجمة على مستوى العالم العربى كله ، يمكن أن يتكون في اطار جامعة الدول العربية ، أو الى جوارها ، ويكون أعضاؤه من شتى التخصصات في الجامعات ، بالإضافة الى الشخصيات الأدبية والعلمية والعسكرية والسياسية والصحفية .. وتكون مهمة هذا المجلس وضع سياسة متكاملة تحدد الأولويات ، والمجالات الأكثر حيوية في مجال الترجمة .

ومن المستحيل بالطبع أن يبدأ هذا المجلس من فراغ ، فلا بد أن يكون بين يديه احصائيات شاملة عما تم ترجمته حتى الآن ، بعد تصنيفه وتقييمه .

ويمكن في هذا المجال ، بل هو من اللازم ، أن يكلف كل مبعوث من البلاد العربية الى البلاد الأجنبية المتقدمة ، باختيار خمسة أو عشرة كتب أساسية في مجال تخصصه ، على أن يقوم هو بترجمة واحد منها على الأقل .

٢ — ماذا يترجم ؟

قد تبدو الإجابة على هذا السؤال الهام من عمل المجلس المشار اليه ، ولكننا نسارع فنقترح عليه :

— ترجمة دوائر المعارف العالمية ، العامة والمتخصصة ، فان ذلك سوف يوفر ترجمة الكثير من المؤلفات السابقة عليها ، أو المعاصرة لها ، والتي اندمجت فيها (٢٠) .

ولابد أن نعلن هنا أسفنا الشديد للتعثر — غير المبرر على الإطلاق — في استكمال ترجمة « دائرة المعارف الاسلامية » حتى الآن الى اللغة العربية ، واقتصارها على جهد فرد واحد يقوم به مشكوراً في أسوأ الظروف (٢١) .

— مع الاعتراف الكامل بضرورة التكمال في ترجمة الآداب والعلوم ، إلا أن نهضتنا الحالية يلزمها التركيز على جانب العلوم والتكنولوجيا ، ولابد أن يفهم دعاة ادخال التكنولوجيا الحديثة الى العالم العربي أن رغبتهم لن تتحقق أبداً ، ولن تؤتى ثمارها الحقيقية دون أن نعد لها العقلية التي تتقبلها ، وهذا يستدعي أن نقدم الخلفية التاريخية التي تطورت فيها العلوم والتكنولوجيا ، مصحوبة بالمنهج العلمي الحديث ، الذي حل محل المناهج التقليدية القديمة « وهذا موضوع حيوى نرجو أن نتاح لنا فرصة معالجته في بحث قريب » .

٣ — من الذى يترجم ؟

لاحظ مندوب العراق فى الأمم المتحدة أن الوقت الذى تستغرقه الترجمة الشفهية الى العربية يستغرق ضعف الوقت الذى تستغرقه الترجمة

(٢٠) قامت الصين مؤخراً « ١٩٨٨ » بشراء حق ترجمة « دائرة المعارف البريطانية » وهى من أجود دوائر المعارف العالمية ، لترجمتها الى اللغة الصينية .

(٢١) نشير هنا الى المترجم الكبير الاستاذ ابراهيم زكى خورشيد .

الى سائر اللغات الأخرى (٢٢) ، وهذه ظاهرة خطيرة تشير الى ضعف المترجم العربى حتى على هذا المستوى العالى .

ويذكر الأستاذ ابراهيم زكى خورشيد من بين العقبات الخاصة التى تقف فى سبيل الترجمة « ندرة عدد المترجمين الجيدين الآن حتى أصبحوا لا يجاوزون اصابع اليد الواحدة » (٢٣) .

والواقع أننا اذا ألقينا نظرة عامة على الترجمة المكتوبة اصطدمننا بالكثير مما يؤسف له : فالمترجم قد يجيد اللغة الأجنبية ولا يجيد العربية ، أو قد يجيد العربية ولا يجيد اللغة الأجنبية ، وأحيانا ما نراه لا يجيد الاثنتين معا ، وهنا الكارثة !

ولذلك ينبغى اعداد المترجم اعدادا لغويا ، وتزويده بثقافة واسعة « ومن الطبيعى أن هذا داخل فى الارتفاع بمستوى تعليم اللغة العربية » واعداد القواميس العربية الجيدة والمفيدة « مما يؤسف له أن أفضل قاموس عربى حتى الآن هو القاموس الذى وضعه فير الألمانية ، وترجم الى الانجليزية » .

ثم يأتى الاهتمام بتعليم اللغات الأجنبية ، والتوسع فى ارسال الطلاب المتفوقين فيها الى البلاد الأجنبية ذاتها ، ليعيشوا بين أهلها فترة من الوقت « وهذا ملاحظ فى أوروبا على نحو ممتاز ، وخاصة فيما يتم من تعاون متبادل بين الطلاب فى إنجلترا وفرنسا وألمانيا وإسبانيا وإيطاليا » .

ولكى نعين المترجم على أداء مهمته الصعبة ، لابد أن نضع بين يديه القواميس متعددة اللغات bi - Language على أن تكون مساهمة للتطور السريع فيما يتعلق بصياغة وتطوير المصطلحات والتعبيرات الفنية اللازمة .

وأخيرا لابد أن يكون أجر الترجمة مجزيا ، ونحن مع الأستاذ خورشيد فى دعوته الى أن « ترتفع قيمة ترجمة الكلمة الى عشرة مليمات على الأقل ، ونصفها للمراجع ، ويمكن زيادة هذه القيمة اذا كانت الترجمة تتطلب جهدا خاصا كترجمة الآثار الصعبة » .

(٢٢) انظر : القسم الخاص بالترجمة الوارد فى ندوة مجلة الكاتب الجزائرية « مايو ١٩٧٣ » .

(٢٣) انظر : ابراهيم خورشيد ، الترجمة ومشكلاتها ، ص ١٥٥ .

(٢٤) المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

٤ — كيف نترجم ؟

الترجمة أمانة ، وهى فى رأينا تتمثل فى :

— المحافظة على المعنى « وهذا يستبعد أساسا الترجمة الحرفية التى تذل بالمعنى ، وقد تكون أحيانا معقدة » .

— المحافظة على ظلال المعنى « وهذا يتطلب ضرورة نقل المجازات والكنايات وعبارات التعجب .. الخ » .

— المحافظة على تقسيم الجمل ، ونظام الفقرات ، وعلامات الترقيم « حتى نعيد للغة العربية نفسها دقتها ، ونجنبها خطورة الاستطراد » .

ولابد أن تتميز الترجمة بخاصتين أساسيتين وهما : الدقة ، والوضوح .

وينبغى أن ننبه هنا الى أن المترجم العربى كثيرا ما يخدع بقرب معنى تعبير أجنبى من تعبير عربى شائع ، فيسرع بتسجيله ، دون أن يتنبه جيدا الى ما قد يكون من فرق دقيق ، والذي نقترحه فى هذا الصدد أن يتجنب التعبير العربى غير المساوى ، ويبحث عن « تركيبة لغوية » أخرى تكون أكثر أداء للمعنى الأجنبى .

وفى أحيان أخرى ، قد تتعذر ترجمة كلمة أو عبارة .. ومن تجربتى الخاصة فى مقارنة بعض الترجمات العربية على أصولها الفرنسية بالذات ، لاحظت أن المترجم يتخطاها ، دون أية إشارة .. ولو فى الهامش .

انه لا عيب أبدا من وضع الكلمة أو العبارة الأجنبية كما هى فى موضعها ، والإشارة الى صعوبتها ، مصحوبة بالاقتراح العربى الذى يراه المترجم ملائما لها .

٥ — ماذا بعد الترجمة ؟

وهنا يبرز العديد من المشروعات التى يؤدى التكامل بينها الى أحداث نهضة كبرى فى مجال الترجمة بصفة خاصة ، وفى ميدان الحياة الثقافية بصفة عامة ، ومن بينها :

— إنشاء سلاسل أو مجاميع Collections متخصصة فى شتى فروع المعرفة الانسانية ، كما هو الحال فى أوربا ، بحيث تحتوى مجموعة الطب مثلا على كل ما يمكن أن يتم ترجمته فى هذا المجال ، مع ضرورة تخصيص قسم من كل كتاب لبيان ماترجم فى السلسلة .

— انشاء مجلات متخصصة لنشر المقالات والأبحاث المترجمة عن اللغات الأجنبية ، والتي لا يبلغ حجمها كتابا كاملا « ومجلة الثقافة العالمية التي تصدر في الكويت مثال جيد على ذلك » .

— متابعة جميع الترجمات بفهارس دورية ، موحدة المصادر ، توزع في كافة أنحاء الوطن العربي ، حتى نتلافى توزيع الجهود في ترجمة الكتاب الواحد أكثر من مرة .

— ضرورة متابعة الترجمة بحركة نقدية ، تقوم بتصنيف ما ترجم ، وتقويمه ، وبيان مواطن الجودة فيه ، ومواقع القصور ، وتضع الاقتراحات الإيجابية التي تساعد المترجم نفسه على التجويد المستمر ، كما تبين لغيره الطريق الصحيح .

— تشجيع الترجمة بعمل المسابقات المتعددة والمتنوعة لأحسن كتاب يترجم في مجاله ، وإنشاء الجوائز التشجيعية والتقديرية لمن بذلوا جهودا متميزة في هذا المجال « ولا ينبغي أن يقتصر ذلك على مصر وحدها ، بل ينبغي أن تكون هذه الحوافز على مستوى العالم العربي كله » .

الترجمة والاقتباس :

وينبغي ألا نفعل عملية الاقتباس ، وهي عبارة عن نقل جوهر العمل الأدبي أو مضمونه — دون التقيد بحرفيته — من لفته الأصلية إلى لغة أخرى ، وفي رأينا أن الاقتباس يقف في مرحلة بين الترجمة والتأليف أو الإبداع ، ومن المعروف أن كل شعوب العالم تقتبس الأعمال الأدبية ، وخاصة المسرحية ، وبذلك لا تحرم أبناءها من مشاهدة جوهر العمل الأدبي « الأجنبي » في بيئة قومية خالصة .

ومع ذلك ، فمن الأفضل ألا يحول اقتباس النص الأدبي دون ترجمته ، لأن الترجمة في هذه الحالة سوف تفتح بابا واسعا للمقارنة بين المقتبس والمترجم ، ويمكن للهيئتين بالأدب المقارن أن يجدوا في ذلك مادة خصبة للدراسة ، واستخلاص نتائج تساعد على تكوين جيل أدبي قادر على التأليف الخالص .

خاتمة :

وفي نهاية هذا البحث يمكننا أن نقرر أن الترجمة مسئولية قومية ينبغي أن يجرى التخطيط الجيد لها ، وأن يتم تنفيذها بكفاءة عالية ، من أجل تحقيق أهدافها الأساسية ، وفي مقدمتها : دفع حركة التأليف والإبداع إلى الأمام ، وتنشيط الحركة الثقافية ، وتزويد الباحثين العلميين بأحدث ما ينتجه زملأؤهم في بقية أنحاء العالم ، وتعريف العالم العربى الاسلامى بتجارب الشعوب الأخرى حتى يمكنهم أن يقارنوا به تجربتهم ، ويستفيدوا منها كلما أمكن .. وأخيرا فإن الترجمة كانت وستظل دائما هى أهم وسيلة للتعارف بين الشعوب ، وهو الهدف الذى أشار اليه القرآن الكريم فى قوله تعالى « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا .. » (٢٥) .